الفصل الثانى

مسرح الطفل

ومراحل النمو

إن للإنسان خصائص نمو عقلى ونفسى، لها سمات خاصة، ومظاهر مميزة تختلف من مرحلة إلى أخرى، لا نستطيع أن نتجاوزها. فمثلًا لو لاحظنا سلوك اللعب فى مراحل الطفولة المتتالية، نجد أن لعب الرضيع يختلف أسلوبًا وتعقيدًا وديمومة ونظاما ونوعية عن لعب الطفل فى مرحلة قبيل المدرسة، رغم أن مواد اللعب ومواقفه قد تكون متشابهة تمامًا. ولو أننا وجدنا طفلًا ورضيعًا يلعبان بنفس الأسلوب والنظام، فإن ذلك يلفت النظر؛ لأن لعبهما يجب أن يختلف أسلوبًا ونظامًا بالنسبة لأنهما فى مرحلتين مختلفتين من مراحل النمو. وهذا الوضع يضع أمامنا عدة احتمالات، منها أن الطفل قد يكون متأخرًا فى نموه، وأن الرضيع قد يكون متقدمًا.

ومن خلال تجارب بياجيه "Piaget" تتضح الفروق الإدراكية عند الأطفال فى مراحل نموهم، فمثلا حينما عرض على طفل وعائين أسطوانيين متماثلين فى الشكل والحجم وكلاهما ممتلئ بالخرز إلى نصفه، فإن هذا الطفل أدرك أن الوعائين محتويان على كميتين متساويتين، ولكنه حينما أفرغ أحد الوعائين فى وعاء آخر أكثر طولًا وأقل عرضًا، فوجد أن طفل الرابعة يقول: بأن الوعاء الأطول يحتوى على كمية أكبر من الخرز من الوعاء الآخر، بينما نجد أن نفس الطفل عندما يبلغ السابعة من عمره يدرك أن الكمية تظل ثابتة لا تتغير بغض النظر عن مظهر الإناء. ولكن بمزيد من الخبرات التى يكتسبها الطفل فى سن الثامنة أو العاشرة من العمر يدرك أن مقدار المادة وحجمها ووزنها ثابت لا يتغير بتغير الشكل.

ولذلك فإن العمل المسرحى الذى يقدم للطفل يجب أن يكون مناسبًا لمرحلته العمرية. فقد دلت الدراسات النفسية على أن الأطفال يحاولون التهرب من الأعمال التى تعلو على مستواهم، بينما نجدهم يثابرون على العمل إذا شعروا بقدرتهم على النجاح، والمواد التعليمية التى تناسب الأطفال يكون لها معنى فى أذهانهم، وتساعد على تنمية معلوماتهم وزيادة خبراتهم، وتحقق الكثير من الأهداف التى أهمها، إحداث نمو وتطوير فى شخصيات الأطفال فى الاتجاه الاجتماعى المرغوب فيه.

وتؤكد "**وينفرد وارد**" على وجوب توافق ومناسبة الموضوع المقدم للطفل مع المرحلة العمرية له، فما يقبله الأطفال فى سن الخامسة يبدو تافهًا بالنسبة للأطفال فى سن الحادية عشرة، وما يهز مشاعر هؤلاء الأطفال، يثير فزع الأطفال فى سن الخامسة.

وتوضح "**وينفرد وارد**" مستويات العمر لمسرح الطفل، فتعتبر المسرح المثالى للأطفال هو الذى يقدم ثلاث سلاسل من المسرحيات على الأقل تتفق مع خصائص كل مرحلة: الأولى للأولاد والبنات من السادسة إلى الثامنة، والثانية من التاسعة إلى الثانية عشرة، والأخيرة لمن تجاوزوا الثانية عشرة. أما الأطفال الصغار فلا حاجة بهم إلى مسرح، إذ إن ألعابهم فيها من التمثيل ما يكفى.

فمن الملاحظ أن صغار الأطفال قبل سن الخامسة لا تحتاج إلى مسرح، إذ إن فى لعبهم الإيهامى أو التخيلى ما يكفيهم، ومن الصعب أن يشد المسرح انتباه الطفل فى هذه السن.

كذلك فإن "**موفق الحمدانى**" يؤكد على أن للتذوق الفنى علاقة بعمر الطفل، وجنسه، وذكائه، ومقاييس أهله وأقرانه.

فكيف يمكن اختيار المسرحيات التى تناسب التلاميذ، فى المراحل العمرية التى يمر بها الطفل؟

يتطلب هذا معرفة خصائص كل مرحلة، لكى يتسنى لنا وضع ما يشبع الحاجات النفسية والعقلية لكل مرحلة من هذه المراحل:

١ - مرحلة الواقعية والخيال المحدود:

وهى تشمل الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث إلى خمس سنوات. ويملك الطفل طاقة حركية كبيرة، تجعله يمشى، ويجرى، ويتسلق، ويجد نفسه فى دنيا يجهل الكثير عنها، فيحاول أن يفهم الأشياء من حوله، ولذلك يكثر الطفل من الأسئلة. ومن سمات هذه المرحلة "اللعب الإيهامى" والمقصود باللعب الإيهامى أن يتطابق الطفل مع أدوات اللعب المتاحة أمامه. فنجد الطفل يمسك بعصا، ويضعها بين ساقيه، ويجرى بها، ويتصورها حصانًا. ونرى الطفلة تجعل العروسة - دميتها- وكأنها ابنتها، فتدللها، وتهدهدها، وتهددها، وتغنى لها تارة، وتارة أخرى تغضب منها وتنهاها عن فعل شىء.

ويشير "**محمد أبو الخير**" إلى أن الطفل فى هذه المرحلة لا يستطيع أن يستوعب مسرحية بشرية لما فيها من لغة قد يصعب عليه فهمها؛ لأن إدراك الطفل لم يبلغ النضج الكافى لمتابعة مسرحية حوارية، ولما للطفل من قدرة حركية عالية فى هذه المرحلة تجعله ينتقل كثيرًا، فيحول ذلك دون استمرارية المتابعة. بينما يمكنه أن يرى مسرحية عرائس، تدور فى عالم الحيوانات والطيور فى أشكال جذابة، قليلة الحوار، تعتمد على الحركة اعتمادًا أساسيًّا، وتقدم فى نطاق زمنى تحتمله قدرة الطفل فى هذه المرحلة على التركيز (١٥ ق - ٢٠ ق).

٢- مرحلة الخيال المنطلق:

وتشمل الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ست إلى ثمانى سنوات. ومن أهم سمات هذه المرحلة هى خيال الطفل الحر، فهو يتطلع بخياله إلى عوالم أخرى تعيش فيها الجنيات العجيبة والحوريات الجميلة، والملائكة والعمالقة والأقزام فى بلاد

السحرة والأعاجيب، ومن هذه القصص كثير من أساطير الشعوب، وقصص ألف ليلة وليلة.. وما إليها. وهذه القصص الخيالية تهيئ للأطفال قدرًا كبيرًا من المتعة.

وتشير **"حنان العنانى"** إلى أن الطفل فى هذه المرحلة يكون قد ألم بكثير من الخبرات المتعلقة بالبيئة التى يعيش فيها ويطمح للتحليق بخياله إلى عالم أكثر رحابة لذلك يجد فى المسرحيات الخيالية سحرًا خلابًا. وكذلك فإن أهم مواصفات المسرحية المقدمة لأطفال هذه السن أن تحتوى على نوع من المغامرات، وأن تكون واضحة الفكرة، خيالية، تتضمن العرائس أو المسرح البشرى أو كليهما، وتشتمل على نوع من التوجيه التربوى والاجتماعى.

٣- مرحلــة البطولــة:

وتشمل هذه المرحلة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين تسع إلى اثنتى عشرة سنة. وفى هذه المرحلة يظهر بقوة ميل الأطفال إلى الاستهواء، وهو تقبل آراء الآخرين ممن يعجب بهم الطفل، أو يقدرهم دون نقد أو مناقشة... وهذا يدفعنا إلى أن نحرص دائمًا، على ألا نوحى للأطفال إلا بكل ما هو شريف ونبيل وصادق وحقيقى.

ويشير **"محمد أبو الخير"** إلى أن الطفل فى هذه المرحلة، ينتقل من عالم الخيال إلى عالم الواقع، ويتعلم المهارات اللازمة لشئون الحياة ويتقدم من المفاهيم البسيطة إلى المفاهيم المعقدة، ومن التمركز حول الذات إلى المفاهيم الموضوعية، ويكون المعايير الخلقية والقيمية، فيصبح الطفل أكثر استعدادًا لتحمل المسئولية، ويميل إلى الأعمال التى تظهر فيها المنافسة والشجاعة وروح المغامرة والتمثيل.

ويمكن تلخيص أهم مواصفات المسرحية المقدمة إلى أطفال هذه المرحلة فى أنها يحسن أن تتضمن البطولة والشجاعة والمغامرة والواقعية، والمعلومات العلمية والطابع التربوى والاجتماعى وتأكيد القيم الدينية والأخلاقية والانتماء القومى بأسلوب غير مباشر.

وتوضح "**حنان العنانى**" أنه إذا كان الطفل فى هذه المرحلة يرغب فى مشاهدة الحكايات البطولية والمثيرة، وتستهويه المسرحيات الطويلة ذات المناظر الكثيرة التى يمتزج فيها الخيال بالحقيقة، وتنتهى بانتصار البطل. فالبنت فى هذه المرحلة ترغب فى نفس المضمون الذى يرغبه الولد، إلا أنها تميل إلى الواقعية وتكتفى بالقليل من المواقف المثيرة، وتحب أن تكون للمسرحية بطلة بدلًا من البطل.

٤ - مرحلـــة المثاليـــة:

وتشمل الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين اثنتى عشرة سنة إلى ست عشرة سنة، وهذه المرحلة مقرونة بفترة المراهقة، وإن كان هناك سهولة فى تحديد بداية المراهقة، وهى عند البلوغ الجنسى للذكر والأنثى، فإنه من الصعوبة تحديد نهايتها، ولكن يمكن أن يقال: إن نهايتها هو عند الوصول إلى النضج فى مظاهر النمو للشخصية الإنسانية فى جوانبها المختلفة. هذا وللمراهقة سمات عامة وهى التدرج من الطفولة إلى الرشد فى كافة مظاهر النمو البدنى والجنسى والعقلى والانفعالى. يدرك الفرد قدراته من خلال الخبرات التى يمر بها نتيجة تفاعله مع الآخرين، فيعرف حدوده وحدود من سواه، وتزداد علاقات الفرد الاجتماعية اتساعًا وعمقًا مع المحيط الاجتماعى، ويبدأ فى اتخاذ مواقف تجاه أشياء فى حياته، ويأخذ الفرد فى تكوين جملة من القيم.

ومن أهم مواصفات المسرحية المقدمة إلى أصحاب هذه المرحلة أن تكون ذات أهداف تربوية، تتضمن معلومات تاريخية ودينية، وتخاطب العقل، وتؤكد على المثل العليا.

هذا وإذا كان تحديد المستويات العمرية شىء مهم، فإن الأهم هو ماذا نقدم؟ وكيف؟ لأن طفل اليوم يختلف عن طفل الأمس، من حيث البيئة الحضارية بكل بنائها المعنوى والمادى، وهذا ما يجب أن يضعه فى الاعتبار كل المتعاملين مع الطفل.

ويشير **"يعقوب الشارونى"** إلى أنه على الرغم من هذا التقييم لنوعيات المسرحيات حتى تتفق مع مراحل العمر المختلفة- وإذا كان ذلك ممكنًا فى المسرح المدرسى - فإنه قد لوحظ صعوبته بالنسبة لمسرح أطفال ناشئ. فمسرح الطفل خارج المدرسة يصعب عليه تقديم نوعيات مختلفة من المسرحيات تناسب أعمارًا متباينة. لذلك تلجأ مسارح الأطفال هذه إلى تقديم المسرحيات التى تناسب مختلف الأعمار، وهى مسرحيات تعتمد عادة على موضوعات قصص الأطفال المشهورة، ذات الجاذبية العالمية لكل الأعمار، مثل قصة سندريلا.

وكذلك يرى **"محمد أبو الخير"** أهمية وجود بعض العروض التى يصح فيها الجمع بين الكبار والصغار كمتفرجين، وذلك من منطلق أن الطفل لا ينبغى أن يشعر دائمًا بأن هناك تفرقة مستمرة، تفرض العزل الدائم لعالم الصغار، عن عالم الكبار.